



يمكن تصنيف المفاوضات التي تحصل بين المعارضة ونظام الأسد في خانة أغرب مفاوضات، فقد جرت العادة أن الثورات تتفاوض إما على خروج الحاكم الذي حصلت الثورة ضده، وهي حالات نادرة، ذلك أنه في الغالب ما تجري محاكمته، أو التفاوض على خروج المحتل من البلاد، ولم يحصل أن فاوضت ثورةً على خروجها، كما يفعل من أطلقوا على أنفسهم اسم ممثلي الثورة بذريعة الواقعية، وكأن الواقعية لم يجر اكتشافها سوى في زمن الثورة السورية. وقبل ذلك لم يكن ثمة شيء اسمه واقعية، وبالتالي لم تضطر الثورات إلى التعاطي معها!

دعك من النيات وماذا تريد المعارضة، ومن البيانات المدجّجة، كلها لا تundo سوى فوائل ترفيهية في سياق أصمّ لا يسمع ولا يستجيب، وكل ما تفعله المعارضة هو تدوير الزوايا وتربيع الدوائر لمطابقة التفصيل (الماكيت) الأساس الذي يبدو أنه ليس لدى مصممييه أدنى استعداد للتنازل عنه، كيف وروسيا وإيران قد أعادتا هندسة الجغرافيا والديمغرافيا لتناسبها أصلًا مع خريطة طريق مشاريعهما، وليس مع ما يريده السوريون، معارضة ونظاماً.

ثم على مازا يتفاوض السوريون، لا شيء بيد بشار الأسد يعطيه لهم، فلم يعد صاحب القرار، وليس مالكا للجغرافيا. في الأصل، حروب روسيا وإيران وأميركا وإسرائيل هي على الجغرافيا، وانتصاراتهم تاليًا تقاد بحجم ما حققوه من مغامن جغرافية بيدهم.

ليس بشار الأسد سوى "فڑاعة طيور"، تضعها الأطراف المتخاصمة فوق الأرض المتنازع عليها، والتي لم يُحسم بعد من هي الجهة التي ستمتلكها. لا تغرنكم كثيراً عنجهية بشار الجعفري، فهذا لا يملك في حقيقته أكثر من تذكرة الطائرة وجواز السفر، ويتنقص سلوك النمس الذي يقوم بمناوراتٍ ليست من صنعه، وإن كانت بأدائه. وهي مناورات يقوم بتصميمها خبراء الكرملين، وليس فريق وليد المعلم الذي حولته أمراضه وقلة حيلته إلى موبياء، يتم إحياؤها بين فترة وأخرى، لأداء دور صغير، ثم يعود إلى العطالة بانتظار دور هامشي آخر، مثل فاروق الشرع الذي تم ركته عقداً، وقد يؤتي به لحضور حفل

افتتاح مؤتمر سوتشي، الموضوع قيد التداول .

ومع من نتفاوض؟ مع مجرم هاربٍ من العدالة بتهم القتل والاغتصاب، حول سوريا إلى صرخات مكتومة من نسائها، وموت أطفالها وعيونهم مفتوحة إن لم يكن من الكيميائي فمن الجوع! يريد الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، إبقاء هذا المجرم بالقوة، بوصفة يمثل رمزاً لقدرته القاهرة. حسناً ليبقه، لكن من دون أن يكون ذلك بموافقة ممثلي الثورة، لا في فترة انتقالية ولا غيرها، وهذا ليس كلاماً عاطفياً، بل قمة الواقعية، الارتكابات التي قام بها الأسد تجعل منه شخصاً غير قابل للتفاوض معه، حتى لو كان على خروجه هو نفسه من سوريا .

لم يحصل أن ثورةً فاوضت المحتل ووكلاه على خروجها هي، وليس العكس. كل مضمون التفاوض الجاري مبني على هذا الأساس، بذرية تغير موازين القوى والواقعية، وكان السوريين عندما ثاروا وخرجوا بتصورهم العارية كانوا يتحكمون بموازين القوة، والغريب أن المعارضة تحاول الالتفاف على هذه الخديعة بالذريعة أن المفاوضات تجري من أجل قضايا المعتقلين والمناطق المحاصرة، وهي كذبة كبيرة، وهي يخرج معتقلون، منذ بداية الثورة، إلا نتيجة عمليات تبادل بعناصر إيرانيين وشيعة، ولم يتم فك الحصار عن مناطق إلا مقابل إخراج غالبية أهلها .

صدرت الأوامر الروسية إلى بشار الجعفري بأنه لا بأس من الذهاب إلى جنيف، ولا بأس من التمتع بأكل الجبنة السويسرية والتسلك في ردهات الفندق، المهم أن تورد نشرات الأخبار حضوره، والأهم أن يقطع الوقت حتى يحين موعد لقاء سوتشي. هناك سوف يتم إحضار سمسارة وقبضيات أحياء وتجار حروب وضباط مخابرات ومخبرين، وسيتم تقديمهم أطيااف الشعب السوري وتعدياته الجميلة التي توافقت على بقاء الأسد، للحفاظ على الوحدة الوطنية وعلى الدولة ومؤسساتها. وحينها سيقول وزير الخارجية الروسي، سيرجي لافروف، للمعارضة إن اللعبة انتهت، وكل ثورة وأنتم بخير، ألم يخبرهم دي، المبعوث الأممي، دي ميستورا، أن قطار سوتشي سيفرهم؟

حينها سيتذكّر السوريون أن هذه المعارضة كانت سيئة كما عصابة الأسد، الفارق ربما أنها لم تقتل ولم تغتصب، لكنها ضيّعت ثورة السوريين وحقوقهم، وكان الأجرد بمن لا يجد لديه القدرة والكفاءة على تحصيل حق الثوار الاستقلال، لا الاستقلال على منصب ومهمة ومكافأة. لم تجترح هذه المعارضة أي فكرة خلاقة تستطيع دفع العالم على التمسّك بها. كان يجب أن تبادر المعارضة إلى فكرة مؤتمر سوتشي، بالدعوة إلى مؤتمر وطني يمثل كل الفئات والشريان الثورية، وتشكل برلماناً وحكومة إنقاذ. نحن أمام معارضة لم تسمح بتشكيل هيكلية ثورية من هيئات و المجالس وجمعيات مجالس عسكرية ومدنية. فقط صنعت هيئة تفاوض، لا خبرة لها في التفاوض .

المعارضة التي تفاوض من أجل تسوية أوضاع بعض أفرادها لا يعول عليها، والمعارضة التي تفاوض لأجل تحقيق أفرادها مكاسب سياسية في حكومة تحت جناح الأسد ليست جديرة بالثقة، والمعارضة التي تفاوض على خروج الثورة من سوريا، حتى وإن لم تفهم ما بين السطور، الأجرد بها أن تقاعد.

المصادر:

العربي الجديد